

العيلة في لبنان

على ضوء امثال الشعبية

بقلم طه خاطر

مقدمة

لكل امة من امم المعمور امثال شعبية دارجة على السن العامة من افرادها ، هي ترجمان حالها ، ومثوان تفكيرها ، وصورة حية لآرائها في تصريف الامور وشؤون المعيشة . ولم يشذ لبنان عن هذه القاعدة فان لغات امثاله من هذا النوع تفضت الكثير من الحكمة والمهارة في مشاكل الحياة اللبنانية واطوارها ومطالبها ، وما تقوم عليه من اركان وبيادى ، وتهدف اليه من غايات ومرامير .

والمثل العامي اولى نميلاً لحالة الامة من المثل النصيح ، لان هذا لا يعرفه الا الادباء والمتفنون ، بينما الاول يتجذرو في الشعب برسته ، من مختلف الطبقات . وعلى ذلك يمكن اعتباره اصح صورة لحالة المتشائين به وخير ترجمان لنفسيهم ونوع تفكيرهم ووجهة نظرهم في ما يطرا عليهم من الحوادث في مراحل العمر .

* * *

اما الامثال الدارجة على السن اللبنانيين فاكثرت من ان تعد ويمكن حسابها بين متروكات الاجداد الادبية القيمة .

اما اصولها الاولية فتتوعة المآخذ والماصدر ، على ان جعلها لبناني بحت ، لا سيما ما دار منها على شؤون خاصة بلبنان ، ولا تخرج في غيره . نخص منها بالذكر ما كان ذا علاقة بالامور الجغرافية المحلية من مثل قولهم : « شرم صيدا من هدير البحر - كرمال عين نكرم كل مرجسيون - يا طالب العافية من البوشرية » .

ولا ديبية ان في امثالنا طائفة تشاركنا فيها الاقطار العربية المجاورة ولا سيما ما كان منها عربي الاصل ، على ان تردب هذه الامثال عهداً طويلاً في لبنان وباللهجة المروف جا اهلوه قد اكسبها من حيث المعنى والمبنى طابعاً لبنانياً خاصاً يميزها عن امثالها في تلك الاقطار ، ويمسها خليفة حقاً باسم « امثال لبنانية »

* * *

وما اتنا تقدم منها على سبيل المثل طائفة مما يدور حول العيلة ومطلفاتها . عسى ان تبدو منها صورة صادقة صحيحة لهذه الباحية الاجتماعية في لبنان العزيز :

العيلة اللبنانية

العيلة من رجت على المره اعالته من اهل بيته ، وهي تتألف من الاولاد زهورها الفواحة ومن الزوجين او الاب والام زكناها الركيثان ، ينبع هؤلاء احياناً الجدان والجدتان والاعمام والسآت والاخوال والحالات .

اللبنائونه محبونه المعني ابناؤ الذكر

والعيلة محترمة الجانب في لبنان رباطها الاولاد من صبيان وبنات والذي لا يعقب يعيش الحياة منفصلاً وللتهمين عليه يقولون له : « بلاهم ولا بلاهم ا - وجودهم هم وبلاهم هم »

ولكنه قلما يقتنع ويقعد عن استشارة الاطباء والتوابل (التدايات) والعواجز طمأ بأن يبقى من يقيم له ذكر آمن بعده يرث عنه ما يكون عنده من مال وعقار . اما تقول امثالهم ؟ : « من خلف ما مات - الولاد صورة الوالدين » : والرزق لا يسمح به بعد العين الا للاولاد او الاحفاد من الذكور (المصب) . وقد قالوا في ذلك : « بحبك يا سواري مثل زندي لا - ابن ابنك لك ابن بنتك لا » .

ابناؤهم الصبيان على البنات

ويؤثرون في مواليدهم الذكور على البنات ويقولون عن الصبيان : « ما احلا بشارتهم ولو ماتوا بساعتهم » . اما البنت فالتعبه تمزق عند ولادتها اربعين يوماً . ويقولون بهذا المعنى : « البنات هتهم للهمات - البنت ان خلصت من الف عار بتجيب المدو للدار - بنتي في طبرياً وهما واصل لياً - بتجبي البنت فويجبي هتها مهها » .

ولعل السبب في ذلك انها متى تزوجت تصير لرجلها تحمل اسمه واسم عيلته وتترك اسم والذيتها وتنقل ميراثها الى عيلة اخرى قد تكون غير ذات كفاية بميلة ايها ، لذلك قالوا : « من كانت البنت عاقبتة لا يآمن يكون الكلب صهره » .

وينفق ان يحصل بعض آباء البنات على اصهار من ذوي المكانة فيكوترون

لهم ذعراً ومستنداً. وفي مثل هؤلاء قالوا: «يا صهري يا سدة صهري».
وبشكل حال فان ولادة البنات في لبنان قلما تقابل بالارتياح وقد درجت
العادة ان يهون على ام البنت باسماءها العبارات اللطيفة من مثل قولهم :
« اللي بتجيب البنت بتجيب الصبي - الله يحلها بيها - البنت خلقة الله والصبي
خلقة الله | »

وان كانت البنت هي المولود الاول بعد الزواج قالوا للام من باب التفرقة :
« نيالك جتلك بنت تجدك»، وربما اوردوا لها المثل القائل : « من اسدها
زمانها جابت بناتها قبل صيائها » لانهم يزعمون يكبرن اولاً ويساعدن الام
في القيام بمهام العيلة .

الطقوس

العيلة اللبنانية تبذل عناية كبرى في رعاية اطفالها، فالام تشبع ابنها من
حليبها اعتقاد ان « الشبان من حليب امه » يشبُ صلب العود قوي الشكيمة
وتقطعه للحال لدى تأكدها من حمل جديد لاعتقادها ان «حليب القبل (حليب
المراة الحامل) يهد الحيل» ومتى ظهرت اسنانه تصنع له «السنية» وهي حفلة
تدعو اليها الاهل والاصدقاء. وتقدم فيها النقل والحلوى وذلك لان طفلها يكون
قد اجتاز خطراً كبيراً يوافق غالباً طور التسنين . ومن امثالها في ذلك : « لو
عرفت امي بظهور سناني كانت هتلي كفاني » .

وتظل الام تراقب طفلها باهفة حتى لا تلم به « المطرودة » (العين) و«اللي
ما بنتسى » (القرينة) ربما يتدرع ويبلغ سن الدراسة فتسره للحال في القرية
الى مدرسة تحت السنديانة ليتعلم فيها « فك الاسم » و « تعليقه » راجية من
الاستاذ ان يقسره ما اراد بحيث يكون « الجلد له والعظم لها » اذ لا يهها
الا ان تراه من الناجحين في التحصيل ولا يضيع الوقت سدى فيقال له : « يا
مرجوحة النبي مثل ما رحته مثل ما جيت » . ومن فراسة اللبنانيين توقعهم
نجاحاً في العلم لكل ولد كبير الراس بدليل قولهم : « كبير الراس قرأ » .

التربية

ولتربية الاولاد شأن كبير في الاسرة يتعاون فيه كل اعضائها ، ذلك لانهم يقولون : « الطير المرابي غالي - اولادكم ربوهم بثلاقوهم - اللي ما بيربي صغير ما بيلاقي كبير » .

ولست التربية عندهم من الامور السهلة التحصيل : « تربية الصبيان مثل قرقشة الصوان - الولاد ما بيربوا ليربوا على القلب دملة - ما بتعرف قيمة المرابي حتى تربى - ما بيربي جسد تايفنى اسد » .

ومنهم من يؤثر في تربية اولاده الضرب والقصة فيقول : « ان حبيت ولدك هيله القضبان حزم حزم - الضرب للولد مثل الزبل للبتان » .
 هل ان الذي يضرب ولده لا يرضى ان يصوبه الناس على عمله ويفضل ان يقال له : لقد غليت في القصة والولد لا يستحق كل ما اتزته فيه من قصاص ، ولعل ذلك مارسى اليه المثل القائل : « بضرب ابني بالسكين وبكره مين يتولي آين » .

وفي الناس من ينكر طريقة التربية بالضرب ويؤثر عليها التعليم الرصين والتوعد بالعقاب الاليم لدى المخالفة وهؤلاء يقولون : « هز عصا العز ولا تضرب بها » لان الحما في اعتقادهم لا تفيد الولد الجانف الشعور بل تدفعه الى القعة في ارتكاب الماصي ويقولون في هذا المعنى : « اللي ما بتقطع فيه الكلمة ما بتقطع فيه ضربة السيف - شو بتعمل الملققة مع اللي عينه بلقا - اللي ما يكون لنفسه واعظ كلت عنه جميع المواعظ - الوقح ضربه بخشب البيت يقول دبس وزيت - القليل الشمة بزوق عليه بيقول الديني عمال آشتي »

وهناك من يشير بإرشاد الولد بالحسنى والتؤدة وافساح مجال الحرية امامه ليطبقي ما طلب منه عن اقتناع وايشار دون ما ضنط ولا ارهاق : « حظ ابنتك على الحيطان ، وقله هيدي طرايق الشيطان » .

وقد يعامل الوالد ولده بالقسوة طوال مدة حياته ، فاذا ما كبر وشب رأى الافضل ارشاده بالزقة والايثاس : « متى طلعت دقن ابنتك احلق دقنك -

ابنك وهو صغير ربيته ومتى كبر خاويه « . ومنهم من يترك ابناؤه لمدرسة
الهدى : « ابنك لا تعلمه الهدى يعلمه » .

آراء في عهد الطفولة

وقد خضت الامثال اللبنانية عهد الطفولة بطائفة كبيرة منها ، أبدت فيها
الآراء المختلفة الحكيمة ، منها قولهم في مغزة الولد على قلب والديه : « الولد
شريك الزوج » . واغز منه الحفدة : « ما اغز من الولد الا ولد الولد » .

وقد لا يبادل الولد والديه محبتها : « قلبي على ولدي وقلب ولدي على
حجر » ومنهم من يقول : « من يرم ما شفتكم يا أولادي ما عاد هني لي
زادي » . وكثيراً ما تزدي تربية الاولاد والمهام العلية الى افتقاد الام صحتها
وابتلاؤها بسقم جسمها : « قالوا بنتي كويسة وشمرها حرير ، قلنا اصبرنا
عليها حتى تخلف وترابي وتمانق السرير » .

وقد يكون في الصغار من لهم عقل الكبار وحسن فطنتهم : « من حي
ولد خير من شيخ - من حي تليذ سبق معلمه - الديك الفصح من البيض
بيصح » . على ان الولد مهما كبر عقله تظل نزعة الطفولة مسيطرة على حركاته
وتزعاته : « الولد ولد ولو حكم بلد - الصبي صبي ولو كان ابن النبي . يا ذل
بلد حاكمها ولد » . وللاولاد من الطيش ما لا يمكن من الحكم في منازعاتهم
بصورة منطقية لانهم سرعان ما ينتقلون عن مطالبهم دون ما سبب ، لذلك
قالوا : « قاضي الولاد شق حاله » ، واذا كان الولد شريراً سبوا اهله قبل ان يسبره
لان الاهل هم المسؤولون الاولون عنه : « الولد الميشرم يبسب لاهله المسبة » .
وينصح احد الامثال بالا يرافق الولد في الطريق لانه : « ان وقعت حماره
رفيقه ضحك عليه ، وان وقعت حمارته هو بكى عليه » وهكذا يكون
مرافق الولد خاسراً في الحالين .

كذلك تنصح الامثال اللبنانية باغفال ما يقوله الاولاد لان : « كل من
يحط عقله بعقل الولاد يتعب » و « الولد الذي ليس من صلبك لا تهتم
بتربيته » لان « اللي بيربي غير ولده ، مثل اللي بيتمر في غير ملكه » . وقد

قيل أيضاً: « كل شيء اذا ربيته نفمك الا ابن آدم قلمك» - و «الولد الذي ما هو من زهره كل ما جن فرحلته» .

والصلة الكثيرة الاولاد هي عند اللبانيين عيلة مباركة من الله: « البنون الكثر ، اولهم نقر ، وآخرهم يسر ، وطولة عمره » .

البنات والعلم

اما البنات فقد كانوا في القديم لا يهتمون لتعليمها لانها لم توجد كالصبي «تتقدم في الديوان» واهم ما كانوا يطلبون منها «خدمة زوجها وتربية اولادها» اما الآن فالبنات ياشين الصيان في تحصيل انواع العلوم على قدم المساواة . والاولاد البناتيات يخصص البنات بجانب كبير من عطفهن: « المنكوتة شافت بنتها على الحيط قالت لها يا عقد لولو ومعلقو بحيط »

واذا كانت البنات مزدانة بالعلم والتهديب فضلاً كثيرون على الصبيان الطائشين وما قالوه بهذا المعنى: « البنات الكسيحة ، ولا الصبي الفضيحة - من حي بنت بدوى الف حي - كم من صبيان خربوا البيت وبنات عمروه » .

الخطبة

ومتى كبر الفتيان والفتيات كان في مقدمة ما يفكر اهلهن في تيسيره لهم الخطبة والزواج سنة الله في خلقه ، وللبنانيين في هذين الامرين امثال كلها حكمة وعبرة . فما قالوه في ظهور بعض الخطاب على حين غرة ، كما يحدث غالباً: « الخطاب ورا الابواب » ولا يجب ان يعنى امثال هؤلاء الخطاب المستعجلين عن نقائص المخطوبات: « لما يوقع النصيب من السما يوقع الخطيب بالعمى » . ومن الآباء من لا يرضيه اقبال الخطاب على طلب يد فتاته لانه من يصدقون قول القائل: « البنات اللي بيكثروا خطابها بتبور » .

وقد تؤدي الخطبة الى اقرار عدم الموافقة في الزواج فتحل عروقتها ويأتي آخر قيود الفتاة وفي ذلك يقولون: « واحد خطب والثاني تزوج » ويجاكيه قولهم: « الروس في الاكليل ، ما بينعرف لمن بتصير » .

وللنصيب في الخطبة كما في الزواج اكبر اثر: « كل شيء بتسبب ما عدا الزواج نصيب - النصيب تلاب » .

ومنهم من ينكرون غلبة النصب لما فيها من قيد لحرية الاختيار وهم يقولون: « قالوا الزواج نصيب لكن تلتينه تسيب ». واكثرهم يجاذرون التدخل في عقود الزواج تقادياً للمسؤولية في قابل الحين: « امش في جنازه ولا تش في جازه ».

ألفهما سهم الاصل والفصل

والشاب اللبناني في زواجه يسأل أو لا عن اصل العروس وما اذا كان اهلها من « مزايجه » اي من بيت هو كفوفه لبيته . وهذه التساعده قلت الآن سرعاتها ومن امثالهم في اهمية الاصل : « خذ الاصيله ، ولو على الحصريه - دور الدورّه ولو دارت وخذ الاصيله ولو بارت - الاصل عرن » . ويقولون بهذا المعنى : « فلان يياكل الثشور وييرجع للجذور ، أو يياكل الفول وييرد للاصول - اسأل عن الاصل قبل الوصول - على القرمة ثبت الرخية - من كان ابوه بصل وامه قوم من اين تجيه الريحة الطيبة - زرعت حنظل بارض عنبر تعبت جهدي وسقيت سكر عند فصله رجع لاصله » .
ومنهم من يسأل عن الفمل فقط : « اصلك فمك يا سفرجل » وهذا من نوع قول الشاعر :

لا تقل اصلي وفصلي ابدأ انما اصل الفتى ما قد جعل

اسأل عن الام

وطالب يد الفتاة يسأل قبل كل شيء عن سلوك امها و اخلاقها وسمعتها لاعتقاد اللبنانيين ان البنت تمشي في بيتها مع زوجها كما مشت امها من قبلها مع رجلها ومن امثالهم في هذا المعنى : « سأل عن الام قبل تلم » . ومنهم من يقول : « شوف الام ولم - لا تاخذ الدوروا ولا بنت بيتها تعديك على طول الزمان عوار » . واشهر امثالهم بهذا الخصوص : « طب الجره على فما تطلع البنت لامها » .

والام اللبنانية مثال الرقة والحسان . ويقولون بهذا المعنى : « الدنيا ام » و« الأم هي الدنيا » فكانتهم يحرصون بالام مباهج الدنيا وزخارفها . ويقولون اذا ولي الصيف : « لو كان له ام كانت بتبكي عليه » . لان قلبها مستودع

الشعر الفياض. اما قولهم : « وهل في الامر يا امي ارحمني » فيكاد يرمي الى حصر الرحمة بالام دون سواها .
ومنهم من ينكر انتقال الاخلاق بالسلالة ويقول المثل المشهور : « الرده يتخلف قرده ، والقرده بتخلف ورده - البطن بستان ييجيب شكال ولوان » ويرى آخرون ان الفتاة لا يمكن الحكم في سلوكها الى ان تتزوج فيظهر ممدنها ، ويقولون في ذلك : « البنت مقله مظايه - البنت صرفه ملفوفه » .
ومنهم من يلاحظ اخلاق العمة والحالة والاخوات ويقول هزلاً : « خدرا البنات من صدور العمات - الوند لو بار يطلع ثلثينه خال - البنت الكبيرة بتزوج خياتها » هذا اذا تزوجت قبلهن واحسنت سلوكها مع زوجها .
وهناك من يرى ان الزوج هو الذي يتصرفه يهمل من زوجته اما ملاكاً واما شيطاناً : فهي شيطان اذا افسدتها واذا هذبها فهي ملاك .
ومن امثال القائلين بهذا الرأي : « الفرس من ورا الفارس - اخذ عن الطريق وحرر » .

المال

ويراعون المساواة في درجة الفنى بين طالبي الزواج كما في غير ذلك من الشؤون كالعمر والجاه والثقافة والاخلاق وذلك يعرف بما يروونه عن شاب قيل له لماذا لا تتزوج؟ فاجاب : « بنت الحصيد (اي الفقيه) ما مزيدها وبنت السجاده (اي الفنية) ما بتريدنا » وقد درجت العادة في لبنان ان يجري تبادل المصاهرات بين اسر معلومة متكافئة في مكانتها وكرم اهلها : « يا متلنا تماال لعندنا - قدره ولاقت غطاها - الدار مكتوب على بوابها ما بتجيب الا مثل صحاها - على شكله شكشك له - كما حنا كما حنين والحسن اخو الحسين » .

واذا لم تكن مساواة بين الخطيين فيندر ان يتم بينها زواج : « الي ما بيقدري على الفرس وعليقها يجيد من طريقتها » .
والغالب ان لا يسأل الشاب اللبناني عن مهر العروس وبانيتها بتدار مسا

يسأل عن اخلاقها وآدابها وما يقوله الناس عنها لان : « الصيت الحسن خير من المال المجموع - والملح مديح الحصايل ». ويتولون بهذا المعنى : « يا آخذ القرد على ماله راح المال وبقي القرد على حاله » ويوصي الفلاحون اولادهم : « لا تاخذوا إلا بنت القلّه وارض الخلّه - خدوا فقرا يفتيكم الله ».

اما البنات فيهن جداً وقبل كل شيء آخر ان يلاقين نصيباً لان في بقائهن الحياة بغير زواج شيئاً من المرارة والمار لذلك قالت الامثال : « زوج من عود خير من القمود - الرجال لو كان فحسه وجوده في البيت رحمه » ويقرب من هذا قول فتاة لامها تعاتبها : « على الحطب كبيره وعلى الزواج صغيره ؟ ». والمادة ان يراهى سياق العمر في الترويح فاذا تزوجت الكبرى قالت اختها الصغرى : « تزوجت اختي من كبر بجنتي ».

ومنهن من تؤثر في الرجل جماله : « الشاب العيوق ولا المال اللي في الصندوق ». وغيرها تؤثر صحته وقوة جسمه : « خدي رجال الشغال ولا تاخدي صندوق المال ».

أما الفقيرات فيؤثرن الشاب الفنى لقسوة ما يتحملنه من اذى الفقر : « لا يفرّك الشاب وترويقه يسي ويصبح على ريقه . زوج الفقيره للفقير بيكثروا الشحادين - اللي بيتزوج بالدين يبيع ولاده بالفايدة ». واذا رفضوا تزوج فتاة بمن لا تروقهم حاله غالوا في طلب مهرها : « ما بدك تزوج بنتك غاي تقدها » ويؤمن اصحابهم على عمائم قساوين : « خبي المسل بجراره لتجي اساره »

ويحاذرون تزوج بناتهم ممن يتغيب كثيراً عن منزله : « عمرك ما تاخدي مكارى ليله عندك ليله بالبراري ».

ويؤثرون تزوج اولادهم بنات من بلدتهم لمعرفتهم ماضيهم : « اللي بيتزوج من بلده مثل اليشرب من الكبايه . واللي بيتزوج من الغربه مثل اليشرب من بريق الفخار - تزوجنا وجبتناها غريبه زوان بلادنا ولا القمح الصليبي - بنت بلدك بتحكك على الملح والوحيش ».

كذلك يؤثرون ان يكون الزوج من طائفة البنت ومذهبها لان الوحدة في المعتقد تساعد على الانسجام والتفاهم : فمن أخذ من غير ملتته وقع في علة غير ملتته .

ومن الشبان من يجابهم الفشل كلما صدوا على الزواج لاسباب قد يكونون هم . نشأها : «كلا قلت بدي اتزوج بيمرج حماري وسيقانه بتتزوج»

المرس

ولا بد قبل المرس من التفاوض لتنظيم الحفلات وتوجيه الدعوات والعادة ان يجري ذلك مع امي العريس والروس ، وقد ضرب المثل ببراءة من يقوم بنقل هذه المفاوضات بينهما لما تستوجه من دهاء . وزلاقة لسان : فاذا قيل : «فلان بيدخل مع ام العروس ويبطلع مع ام العريس» فهم انه مراوغ مرا . يلبس لكل حالة لبوسها .

ويقال لتي تنهك في عمل غير ذي فائدة : « فلانه فاضيه مشغوله مثل ام العروس » لان الاعمال المتعبة في المرس تتعاون عليها القربيات والصدقات ولا يبقى على ام العروس الا مهمة الاستقبال والاشراف .

ويقال لمن يطلب عارية من صاحبها حين حاجة هذا اليها : « ليلة عرسك عيرني قرصك » (القرص هو الضنطور كانت تلبسه العروس في حفلة الزفاف) . ومثله « ليلة زقك عيرني دقك » (الدف آلة طرب تستخدم في حفلات الزفاف) . ومن عادة اللبانيين في خروجهم بالعروسين الى المابد لاجراء حفلة العقد ألا يمدوا في الطريق نفسها تشاؤماً ويشيرون الى ذلك بالمثل القائل : « مثل المرآسة بيروحوا على درب ويرجعوا على درب »

اما النقوط وهو مبلغ من مال كان الامل والاصدقاء يقدمونه للعروسين على سبيل المساعدة فقد جرت العادة ان يرقص به مقدمته في « الحلقه » ثم يضمه على طبق أعد لذلك وعليه انواع الشراب والنقل وفي ذلك قالوا : « واحد رقص والثاني حط النقوط » وهو قريب من قولهم : « ناس اكلوا الدجاج ناس وقوا في السياج — واحد طبقه ما ذاقه والثاني كبر مشداه » . سبحان ربي بعمي ذا ويحرم ذا هذا يصيد وهذا يأكل السمكة

ويقال لمن يشكرون قريباً او صديقاً : « مين بيجي مع البنت امها - مين يشكر المروس امها وخالتها واهل حارتها » .
 والمروس تسمر بجهازها وبالافراح القائمة في عرسها ومن يتطوع لخدمتها من الصواحب والاهل ، فتسمرهم ان الايام مستظل طرع يدها على هذا النحو فيقال لها عبءة وتذكيراً : « لا تفرحي بطي جوازك يا ما بدك تجي قدور . لا تفرحي بكبك عرسك ياما محبائك ... »

بعد العرس

اذا كان العروسان على وفاق بعد العرس غبطها الناس وقالوا عنها: « قرين على فرد مخدّه » والمروس عندهم : « وشواشة المخدّه ما عليها متبدي » .
 ويقولون عن الزوجة التي تعرف كيف تداري زوجها : « اللي زوجها معها بتدير الفلك باصهما » - وقالوا ايضاً : « اذا كان زوجي راضي شو دخل القاضي »
 واذا كمل تقام الزوجين رضي احدهما بما يفعله الآخر ولو كان مما لا يوجب الرضى : « ايش ما طبخت الرعنا يياكل زوجها الاعمي » وان تبرجت الزوجة وافق الزوج على ما تفعل ولو كان مما قد يعرضها لنقد الآخرين : « قالت يا رجأل بدتي اتحني ، قال لها يا مرا انا بتني » .
 وان لم يكن تقام لم يكن وفاق : « قالت يا رجأل بدني بابوج قال لها يا مرا رجليك عوج » وقد تكون رجلاها مستقيمتين .

وقد بعنت الزوج زوجته في رفض ما تطلب فتتمد الى الدموع ترفق بها قلبه القاسي : « دموع المرا سلاحها - دموع الفواجر حواضر » . والمرأة هي المددة في تدبير البيت وترقيبه والاقتصاد في المنفعة بحيث تضع الشيء في محله فلا تكون بخيلة كما لا تكون ايضاً مبدرة ولهم في ذلك امثال منها : « الرجال جنأ والمرأ بنأ - الرجال جلاب والمرأ دولاب » .

على ان الزوجين اذا ما شجر بينهما خلاف اصبحت حياتها جحيماً فيقول الزوج : « تزوجنا لنستر رزق الله على الفروية » وتقول الزوجة : « لا من بيت ابونا ولا من اللي تزوجونا » . وتقول ام المروس : « يا بنتي زواج زوجتك ولكن حظ منين بدني جيلك » .

وقد يشتد الخلاف بين الزوجين فتترك الزوجة البيت الزوجي وتعود مع من تكون رزقت من البنين الى بيت ابها شاكية باكية ، فاذا كانت هي المذنبه قالوا لها : « الطريق اللي جيت. عليها ارجعي عليها » لان : « المرا ما لها غير زوجها - والمرا بلا رجال قلمة بلا جبال » وان كان هو المذنب وتكررت اساءته اليها استقبلوها مع منها قائلين : « البيت اللي ربناك ما بينناك ». على انهم قد يتأفون من رافقها من بنين لا يرون ما يوجب عليهم اعالتهم فيقولون : « زوجت بنتي لارتاح من بلاها جات وجابت ولادها وراها ». ويقول آخرون : « زوجت بنتي لاقد في حماها جات وجابت جراها ». وقد يحل بالزوج نكبة فيضطر حموه الى اعالته مع زوجته ومن له من اخوة واخوات. وفي مثل هذه الحال يقول والد الزوجة : « زوجت بنتي لارتاح من مها جات وجابت زوجها ولادها وولاد عمها (اولاد حميا) » وربما اضطر الاب بعد جنوحه الى حياة الراحة ان يعود الى العمل ليقوم بالسب الجديد الذي جاءت ابنته بعد زواجها ثقل به كاهله ، وعندئذ يقول : « زوجنا بنتنا لتسريح عادت حملتنا المنجل والشطيح » (الشطيح قفاز من جلد يستمان به في الحصاد ، ولعل الكلمة من السريانية).

واذا احب شاب فتاة عاقلة في اسرة تقوم عليها الشبهات أخذ زوجته التي احبها ورأى فيها من الاوصاف ما أوجب احترامه وقلب لاهلها ظهر المجن وهو يقول : « اخدت من الخزمه عرد ، والباقي تاخده التروود ».

ومن النسوة من لا تبدي نشاطاً في عمل الآ اذا كان متعلقاً بالتجمل والزينة : « جتني الشطاره جتني يا زوجي ثم شطنتي » ومنهن الجاهلة التي تخرب بيت زوجها لتطمع اهلها الذين لا يلبثون ان ينكروا معروفها ، ومنهن العاقلة التي تعرف ان ليس لها وليتها الا ما تقتصده من القرش الابيض لليوم الاسود : « حبوئي اهلي وانا غنية وحبني زوجي وانا قويه ».

والمرأة التي تطمع زوجها تسن عظامه كما قال الكتاب وتلا بالاعتباط قلبه : « ثلاثة بتطول العمر : الدار الوسيمة ، والقرس الطليمة ، والمرا المطيعة ». والزوج الباكر يساعد على غر النسل وقوته : « زوج ابنك وهو ولد ييجيلك ولد - تزوج بجهلك ورتي ولادك عا مهلك ».

وإذا كره الزوج زوجته اختلق لها الذنوب من تحت التراب ، كما أشير الى ذلك في مثل على لسان امرأة قاتله لزوجها الذي كان يكرهها ويبالغ في إعنتها بمطالبة : « حلو ومالح طبختلك — وبراً وجوراً فرشتلك — لكن درب التبانة ما حسبتلك » درب التبانة عند العامة هي ما يسميه العرب «نهر المجرة» وهو منطقة في السماء قوامها نجوم كثيرة بينما تكون في اول الليل متجهة من الشرق الى الغرب اذ بها تظهر بعد ساعات متجهة من الجنوب الى الشمال . ويقولون ان الرجل غضب على زوجته لانها لم تجمل اتجاه فراشه موافقاً لاتجاه المجرة وهو اعنت لم يسع بمثله .

والحياء اجمل حلية للمرأة وقد قالوا : « مرا بلا حياء طعام بلا ملح » .
والزوجة الشريرة لا تُعرف إلا بعد مرور مدة على زواجها فيبدو الخبأ من جوهر اخلاقتها وقد قالوا : « المرا اول سنة عروس ، وثاني سنة جاسوس ، وثالث سنة حية بسبع روس » .
وقالوا لمن يوالي او يبعد زوجاته : « اول مره مرمره ، ثاني مره سكره ، ثالث مره عنبره ، رابع مره تودّي للقبه » .

وإذا كثرت النساء في البيت الواحد تعطلت الاعمال فيه وقد قالوا في ذلك : « اذا كثروا الطباعين شوشط الطعام — بيت الواحد عمران ، وبيت التنتين خريان ، وبيت الثلاثة ساكنه الشيطان » .

ويقرب من هذا قصة ذاك الذي تزوج من امرأتين حانا ومانا . وكان قد وخطه الشيب فجعلت الكبيرة منها تنتزع من لحية الشعر الاسود ليبدو شائباً في مثل سنها ، والصغيرة تنتزع منها الشعر الابيض ليظل مثلها محتفظاً بظهور القوة والشباب ، وعلى هذا النحو اصبح امعط الوجه اجرد الدقن فقال كلته التي ذهبت مثلاً : « بين حانا ومانا ضاعت لحانا » .

وللرضع نصيب في امثالنا اللبنانية فما تقوله فيها : « كل مع الرضع ولا تاشيها » « لانها تاكل لاثنين بل لاربعة » : «الرضعة بتاكل قد اربعه » ولانها تسرع في طريق متزلها للاهتمام برضيها .

والفتاة المتروجة مهما طال طليها للطال في بيت زوجها تظل تهفو الى المش

الذي درجت منه ، والى نوع المبيضة الذي اعتادته فيه . يُحكى في هذا المعنى ان امرأة اهلها فقراء تزوجت من احد كبار الاغنياء فكان همه ان يوتر لها جميع اسباب الترف والراحة ، على انها كانت ابدًا تتلف على عيشها في بيت ابيها وتقول لزوجها : « يا ما كان احلى بيت بيت ببي رنوم الكرخ ! » .
 فلم يسع الرجل الا اخذها بنفسه الى بيت ابيها ليرى بعينه ما هو ذلك الذي كانت تتلف عليه وتمنُّ اليه ، واذا « بالنقل هو البلوط المشوي » و« بنوم الكرخ » هو النوم الى جانب الموقدة على جلد خروف دون ما غطاء ، فتمجب الزوج من امرأة تمش في بجموحة النعم مثل زوجته تمنُّ الى تلك الترافة وتشاقتها ناسياً ان ما يعتاده المرء في صغره ، وان يكن غير ذي بال ، يظل له اثره في نفسه طوال حياته .

الترمل والزواج مجرداً

تهتم المرأة اللبنانية كثيراً لموت زوجها وتسنى لو سبقته الى القبر : « اللي ربنا متهم ساداتها بيطلع زوجها في جنازتها » وذلك لانه « ستر عرضها » و« عمود بيتها » و« الحارس الامين لاولادها » - ومن اقوالهم في موت زوجة الفلاح : « اذا ردت خراب بيت الفلاح ادعي عليه توت مرتة او توت بقرته » لان المرأة تسانده في جميع اعماله الزراعية فوق قيامها باعمالها المنزلية .
 وشاعت اقوال حول موت الزوجة قد تصدق على بعضهم ، لكن اكثر اللبنانيين ينكرونها ولا يرددونها الا بالاستهجان منها قولهم : « موت المرا تجديد عرس - موت المرا مثل دقة الكوع » اي انه يؤلم موقئاً ويؤزل اثره سريعاً .

ومهما يكن من امر فالارمل لا يطول به الوقت حتى يُفكر ثانية في الزواج بدليل قولهم : « اعزب دهر ولا ارمل شهر » لكن اذا كان له اولاد صب عليه الحصرل على « بديله » أي زوجة جديدة اذ يُقال لمن يطلبها : « الحقي عكا ورواد ولا تاخذي ارمل عنده ولاد » على ان المناظرات كثيرات و« كل مطلوب موجود » والبديله بعد وصولها الى بيت الزوج يدعوا الاولاد : « بحالة » وقد قيل فيها : « الحالة مرة الاب لا بتحب ولا بتحب » . وهنا المشكلة الكبرى .

ولجعا (الرومي المشهور) الشائع ذكره في لبنان قصص عديدة مع خالته ترددها الالسن . منها: انه كان على جبانته وانحطاط همته كلما سمعت له فريضة ينهال عليها بالضرب حتى لقد قيل : « مثل ججا ما فيه الاحالة - قلنا مات ججا واسترحنا منه رجوع وقال صباح الحيد يا خالتي - ججا ذبح بقرة خالته وكل من عنده سكين جابها » وهذا مثل آخر يدل على سقرط شأن الحالة عند اولاد الزوج وهو قولهم : « مثل اللي مضيع ججشة خالته ان لا قادم بيغني وان ما لا قاهها بيغني » .

ومن الاولاد من لا يرون فائدة تذكر في محبة الحالة لهم فيقولون : « ان حبتني خالتي عالتنور ، وان بغضتي عالتنور » ويرى غيرهم ان التقرب اليهم يحسن من حالهم في العيلة : « ان حبتني خالتي طعمتني نقول وان بغضتني نيبتي عالتنور » .

اماً اولاد الارملة التي تترك اولادها وتدرج فيكرهونها وزوجها مماً الا اذا كانوا عند زواجها لا يزالون صغاراً وفي حاجة تصوى الى عطفها وحنانها امماً الزوج فيعامله اولاد الزوجة بالامبالاة: « اي من اخذ أمي صار عمي » وان لؤتهم حاجة كرهوا ان يسألوه اياها لمعرفة انهم انهم ينأتهم بها : « حاجة لا تهلك رحي عليها زوج املك » .

ويلاحظ ان رابطة الاخوة بين اخوين من ام واحدة وايرين مختلفين هي من الضعف بحيث لا تعد شيئاً مذكوراً ولذلك قالوا : « اخي من امي مثل المرأ في كمي » .

والارملة ان كانت عاقراً عادت الى بيت ابيها وان كانت ذات اولاد فاما ان تسهر على تربيتهم وخدمتهم فائعة من يهاج الحياة بهم ، واما ان تتركهم وشأنهم لتنتقل الى عصة زوج جديد . ومها يكن من امر فزواج الارامل قلماً يكون سيدياً لما يرافقه عادة من مرارة المقابلات والذكريات . والارملة - تقول الامثال اللبنانية - انها لا تحسن التربية : « الارملة ان ربت تور ما فلع ، وان ربت كلب ما نبج » . والمتنظر ان تصدق المتزوجات عليها لفقدانها

عمادها رسوء حالها ولذلك يقال : « يا ارامل يا بنات تصدقوا عالمتروجات »
 للشيء يوضع في غير موضعه .
 وفي المثل القائل : « لولا الفربله وهز المخالي كانت الارمله تستغني زماله »
 (الزماله عندهم : الفرس . ما يدل على اعتبار الارملة في لبنان شعبيحة الحال
 محدودة الموارد محتاجة الى من يمدّها دائماً بالأيد والمعونة .

الحماة والكنه

يتكلم اللبنانيون كثيراً عن المداء المستحکم بين الحماة وكنهها ، ويقولون
 انه عداة تقليدي قل ان لا يقع ، وان وقع كان من الصمب علاجه . ولعل
 السبب في ذلك رغبة الحماة سلطانهن في المنزل يتضائل ويحل محل ساطان كنهها
 بما لها من روعة الشباب ونفوذ الكلمة في زوجها واولادها ، ولذلك قالوا : « ما
 في كنه بتعجها الحما ، واور كانت نازله من السما » ومنهم من يورد هذا المثل
 نفسه في القالب التالي : « مكتوب على باب الجنة ما عمرها الحما
 بتحب الكنه » .

وقد يتوسط المحبرون لاصلاح ذات البين بين الحماة وكنهها فاذا لم تنجح
 وساطتهم لا لاقوه من عناد الحماة اورردوا لها المثل التالي : « قالوا يا حما ما
 كنت كنه ؟ قالت : كنت ونييت » .

وان سألوا الحماة عما تشكوه من اغلاط كنهها واخطائها اوردت لهم منها
 الشيء الكثير . وقد اسمهم المثل التالي : « عندي كنه ما اكرم شانها
 بتشيل الطيبين بكنهما » لاهما لها عمل « الشيال » الذي لا يستغني عنه في
 المطبخ .

وقد يتوسلون لاعادة الصلح بين الحماة والكنه بتذكير الاولى ان كنهها
 هي مربية اولاد ابنتها والساهرة على صحتهم ، فاذا لم تتوفر لها الراحة والعيش
 الهني فقد يزودي -وهـ حالها من حيث لا تريد الى الحاق الاذى باولئك الاولاد
 وعلى ذلك قالوا : « حبوا كناينكم قعيش بنينكم » .

وكثيراً ما تختلف الحماة والجاره وتتقاطان . وفي مثل هذه الحال يصح
 المثل القائل : « الحكي للكنه تسمع الجاره »

ومن الكناش من يحسن تحامل حواتهن عليهن غضباً علوياً فيقلن : « لا حما ولا ضره الا سخطه من الله » .

ولجبا مع حماه اقوال وحوادث ترددها اللسن ، اشهرها قولهم : « جعما ما فيه لحامه بيقتل مراته » (يضرب لمن يتشفى بايذاء الهين لمجزه عن ايذاء المستكبر المستوي)

الاخوة في كنف والديهم

كثيراً ما يعيش الاخوة في كنف والديهم حتى لو كبروا وتزوجوا وولد لهم بنون وبنات فان ذلك لا ينهم من ان يقيسوا جيمساً مع نسانهم واولادهم واخوتهم واخواتهم تحت سقف واحد يأكلون على مائدة واحدة مفاخرين بأنهم «لا يقرسون ما بينهم الا ما حرمة الله» ، والمتعارف ان يقتني الابناء طريقة والدم في سياسته وعلاقاته ويقولون : « ما يعقده الاب لا ينقضه الابن - محبة الآباء تتصل بالبين » .

والاخ يناصر اخاه لانه في عرفهم « جناحه » ، ولكن للاب الاولوية في الحنان والمطاف : « من قال خيي مطرح بيبي كان كذاب علي » بيد ان الرفاق قد ينقسم حبله في بعض الاسر لدراع مالية لان : « القرش يفرق الاخ عن اخيه » ولكن الاصحاب لا يلبثون ان يتدخلوا لاصلاح ذات البين فيقولون لهم : « كونوا اخوه وقسوا قسة الحق - عيشوا اخوه وتعاملوا كالأجانب » .

اما الاخوات فيحاذرن العار خوفاً من ان يجرحن كرامة اخوتهم : « اللي يعرف خيي يميره في » . على انهون يتألمن ان نظرن اخوتهم منحرفين الى تفضيل زوجاتهم عليهن ويقلن : « الاخ اخر مراته والاخت يتحلف وحياته » .

توقير الجدود والجديرات

ويكبر الاحفاد منذ صغرهم على توقير جدودهم وجداتهم وتهيب مجلسهم متأثرين بما يورد عليهم من مثل هذه الامثال : « وقروا كباركم بيروقركم صفاركم - الكبير بركه - اللي ما عنده كبير يشترى له كبير - اللي ما يسمع من كبيرة يا قلة تديده » .

واذا لم يكن للابناء صفار انصرفوا الى تدليل والديهم: «صفار ما عندكم دتلوا شيخ بيتكم» .

- والشيب دليل النضج والحكمة والوقار : «كلما شابت طابت - الشيبه هيبه . فاذا لم يوقر الشيب نفسه قالوا له : « الشاب مند طلوعه والشيخ عند فروغه - بعد الكبره جبة حرا » لان الاحمر عندهم ملبوس الصغار والشبان . واذا حاول الشيخ التصابي والعودة الى عهد الشباب بالصباغات والالوان قالوا له : « يا طلبة اليا ما بتستجاب يرجعوا اختيارية شباب » . وهل يصلح العطار ما افسد الدهر ؟ .

اما المعاجز فيعرفن ان الافضل لمن تجاني مجالس اللهم حيث مراض الشباب والجمال منذكرات المثل القائل : «حط الصبايا في القصر وتفرج عليهم ، وحط العجايز في القبر وسكر عليهم» .

والكبير ينصرف الى الراحة فاذا حاول العودة الى ما يعمله الشبان قالوا له : « بعد ما كبر وشاب ردوه للكتاب» .

وما يتدحون به الشيخ قولهم : « عقل الكبير كبير - اكبر منك بيوم اخبر منك بسنه - ما في لحم الا في المتين - اعرض بشب وقاتل بخيار» .

وقد يتناول صغير على كبير فيقولون للتناول: «كبر السج صار مسخره للكلاب» ويهنون على الشيخ هذا التناول بقولهم : «وعا الكبير يبساع الصغير» واذا بدا من الشيخ شي . من تزوات شابه قالوا : « من شب على شي . شاب عليه » وان كان الشيخ ممن يريدون فرض حرمتهم على الناس بغير وسائلها المألوفة ، قالوا له : «مثل شيخ النور كبير عند نفسه صغير عند الناس» ، واذا تناهى باحدهم الكبر الى حد الحرف قالوا : «الكبر رعب» .

وهم يجرضون الشيخ على تناول المأكولات المقوية قائلين : « ما يقوم بالختيار غير ضره » .

وربما نبع شاب من اسرة لا حسب لها ولا نسب فاضطر الكبير الى مجارة الناس في توقيده وتكريمه فعلا بالمثل القايل : « كل صغير انتشى باس الكبير ابده» .

العمره والخووله

يقتر اللبنانيون الاعمام والعمات والاخوال والحالات توقيعهم لآبائهم وأمهاتهم . ومن اقوالهم في العم : « عمك حمأل همك - عمك لا تمعم عم غيره » . ويقولون عن العمة : العمة بتعم بتربي مطرح الام « وهناك من يرى في الاعمام والعمات غير هذا الرأي . قيل : سأل احد الاعمام ابن اخيه : « ليش عم تبكي وانا عمك ؟ » اجاب : « كل بكايي مجيئك عتي » . وقال آخرون : « العم عما » وقد قدمنا قولهم : البنات من صدور العمت .

وهكذا نظرهم في الاخوال والحالات . فبعضهم من يحبونهم ، لانهم : من رجة الام ، ومنهم من يذكرون عداوات كثيرة وقعت لابناء الاخت مع اخوالهم وخالاتهم . ويتمثل هؤلاء بالقول المشهور : « ابن الاخت عدو الحال » ولكن هناك قولاً آخر يعارضه وهو المثل المذكور سابقاً : « الصبي لو بار يطلع تلتينه خال » .

على ان اللبنانيين اجمالاً معتصمون بالحجة الماثلية ، غياري على انقاء العلاقات الاهلية ولهم في ذلك امثال منها قولهم : « اهلك ولا تهلك - اللي ما فيه من دمك ما بيعطل همك - الدم ما يقلب ماء - قرايتك ان لوسك ما بيلك - الف عدو برا الدار ولا عدو جوا الدار - ياليت لي قرابه ولو كان من ترابه » ويشبهون القريب لقريبه بالثوب للجسم يرد عنه الاذى : « اللي بيعلق ثيابه بيبرد » .

ولاهل الزوجة دالة خاصة على المتزل الزوجي فيؤذن لهم في اية ساعة بدخوله ، دون تنييه ولا استئذان : « ان كنت من اهل المرا ادخل بدون مشوره » ، وان كنت من اهل الرجال يخط من شوار الدار ، وهذا المثل يذكرنا على الخصوص بعادة قديمة في لبنان ، ما زالت تحترم حتى اليوم في الجبال لاسيما في منطقة الشوف وهي : ان الزائر القريب لا يدخل بيت مزوره الا بعد ان يقف في الخارج وينادي بصوت ممدود : « يا اصحاب البيت » فيجاوب

من في الداخل بكلمة: « أهلاً وسهلاً » بيد انه يتربص تأديباً ولا يدخل الا بعد ان يظهر صاحب البيت ويدهره باتشاً ملحاً .

* * *

هذه صورة تمثل العيلة اللبنانية في وضعها الصحيح الاصيل دون ما تضييق ولا تزويق، وذلك ايسر في العصر الحاضر فحسب بل منذ العصور التي وضعت فيها هذه الامثال المريقة في القدم، والتي منها تستمد صورتنا هذه جلّ اهلها من بها. ودعوة

